

خلفيات مفاهيمية ونظرية لفهم "المجتمع الجزائري اليوم"
 دراسة- سوسيو-نفسية –انثروبولوجية
 Conceptual and theoretical backgrounds to understand
 "Algerian society today", a socio-psychological-anthropological study

بركة مصطفى* ، جامعة ابو بكر بلقايد-تلمسان- الجزائر

تاريخ النشر: 2023/07/11

تاريخ القبول: 2022/11/18

تاريخ الاستلام: 2022/10/26

ملخص: اذا اردنا ان نعرف مجتمع ما ، لا بد ان نعرفه من مرجعيته التاريخية ومكوناته الثقافية ، وتمثلاته اللغوية واللسانية ، التي تمثل رصيده الحضاري والمعرفي العميق ، وليس هذا فحسب بل من خلال تلك الامكانيات والقدرات العلمية والتقنية التي يمتلكها، والتي تجعله يحافظ على بقائه ويضمن الاستمرار في الحياة في المستقبل مع الشعوب الاخرى .

لم يتفق الباحثون والدارسون على مفهوم واحد يصفون به "المجتمع الجزائري" لا في ادبياتهم السوسولوجية ، ولا النفسية ، ولا الانثروبولوجية وذلك سببه حسب نظرنا يعود الى تلك التحولات المتذبذبة والمتناقضة التي عرفها "المجتمع الجزائري" ومازال يعرفها الى يومنا هذا .والنتيجة غالبا عن تلك التمزقات والانشطارات الهويةية والثقافية الضاربة في اعماقه التاريخية والانثروبولوجية :هذا من جهة .والى تلك الانقسامية الثقافية واللغوية والايديولوجية التي ميزت نخبه وطبقته السياسية والثقافية من جهة ثانية . الامر الذي ادى بالضرورة الى تعقد فهم "المجتمع" في ملامحه ، تمثلاته وغموض توجهاته واهدافه .

وعلى هذا الاساس كان لابدان نضعه موضع البحث والدراسة .وحان الوقت لنعيد النظر في تلك الاحكام الجاهزة حوله وتلك الافكار المسبقة التي سيحجته بصورة سياسيوية طالما منعت وضوح الرؤية من

*بركة مصطفى [barkamustapha@yahoo.com].

الناحية العلمية، ومن هنا كان لزاما علينا ان نطرح هذه التساؤلات التالية: لغرض فهم "المجتمع في واقعه" وتكوين صورة واضحة في كيفية تشكله .

فهل الجزائر في طور التشكل كمجتمع ام كامة ام كشعب ؟ ما الذي يميز الجزائر عن غيرها في التشكل كمجتمع؟ هل استطاعت ان تتجاوز المعوقات التي منعت تشكلها ؟

الكلمات المفتاحية : الجزائر ، "المجتمع الجزائري"، الانقسامية، الانشطارية الهوياتية، الانشطارية الثقافية، النخب المثقفة، النخب السياسية.

ABSTRACT: If we want to know a society, we must know it from its historical reference, its cultural components, and its linguistic and linguistic representations, which represent its cultural and deep knowledge balance, and not only this, but through those scientific and technical capabilities and capabilities that it possesses, which make it maintain its survival and ensure its continuity. In the future life with other peoples. Researchers and scholars did not agree on a single concept by which they describe "Algerian society," neither in their sociological, psychological, nor anthropological literature. The reason, according to our view, is due to those fluctuating and contradictory transformations that "Algerian society" knew and still knows to this day. And the identities and cultural fissures that strike its historical and anthropological depths, this on the one hand, and the cultural, linguistic and ideological divisions that characterized its elites and its political and cultural class on the other. This necessarily led to the complexity of understanding "society" in its features, representations, and ambiguity of its orientations and goals. On this basis, we had to put it into research and study. And it is time to reconsider those ready-made judgments about it and those preconceived ideas that cloaked it in a political way as long as it prevented clarity of vision from a scientific point of view, and from here it was necessary for us to ask these following questions: For the purpose of understanding "society in its reality" and to form a clear picture of how it was formed.

Is Algeria in the process of formation as a society, a nation, or a people? What distinguishes Algeria from others in the formation of a society? Was she able to overcome the obstacles that prevented her from forming?

key words: Algeria, "Algerian society", division, identity fission, cultural fission, educated elites, political elites.

مقدمة:

لماذا لم يتمكن الباحثون في العلوم الانسانية والاجتماعية التوصل الى تعريف موحد "للمجتمع

الجزائري" لا بالأمس ولا اليوم ؟

خلفيات مفاهيمية ونظرية لفهم "المجتمع الجزائري اليوم" دراسة- سوسيو-نفسية -انثروبولوجية

وإذا سلمنا بانهم حاولوا تقديم وصف له فما هي الخلفيات المفاهيمية والنظرية التي من خلالها حددوا مواصفاته ؟

لماذا تعريف المجتمع الجزائري كان او شكل مسالة عسيرة عند الباحثين في العلوم الاجتماعية والانسانية بمختلف تخصصاتهم ؟

هل يكفي ان نقدم تعريفا جامعا مانعا للمجتمع الجزائري دون ان نعرف من هو الفرد الجزائري ؟ وما هي طبيعة الدولة الجزائرية ؟

كل هذه التساؤلات من شأنها تجعلنا ،نسائل التاريخ والفكر والضمير في مسيرة الجزائر الطويلة .

لم يتفق الباحثون والدارسون على مفهوم واحد يصفون به "المجتمع الجزائري" لافي ادبياتهم السوسيوولوجية ،ولا النفسية ،ولا الانثروبولوجية .وذلك سببه حسب راينا ،يعودالى تلك التحولات المتذبذبة والمتناقضة التي عرفها " المجتمع الجزائري "ومازال يعرفها الى اليوم ،والناتجة غالبا عن تلك التمزقات والانشطارات الهوياتية والثقافية الضاربة في اعماقه التاريخية والانثروبولوجية هذا من جهة ،والى تلك الانقسامية الثقافية واللغوية والايديولوجية التي ميزت نخبه وطبقته السياسية والثقافية من جهة ثانية .

الامر الذي ادى الى تعقد فهم "المجتمع" في ملامحه وتمثلاته وغموض توجهاته واهدافه .وعلى هذا الاساس كان لا بد ان نطرح تلك التساؤلات ونعيد طرحها من جديد بالصيغة التالية :

هل الجزائر في طور التشكل كمجتمع أم كأمة ام كشعب ؟

ما الذي يميز الجزائر عن غيرها في التشكل كمجتمع ؟

هل استطاعت الجزائر ان تتجاوز المعوقات التي منعت تشكلها كمجتمع ؟

1) الخلفية السوسيو-تاريخية لواقع المجتمع الجزائري :

للإجابة على هذه التساؤلات هناك طريقتان في الإجابة وهما :

1-هناك الإجابة الكولونيالية لتلك الدراسات التي اجريت على المجتمع الجزائري في مرحلة تاريخية معينة من طرف (علماء الاجتماع ،والانثروبولوجيا ،وحتى الضباط العسكريين الفرنسيين)وهذه شكلت النظرة من الخارج للمجتمع الجزائري في الاستعمار الفرنسي (كبورديو ،جاك بيرك ،روبير اجيرون ،ش اندري جوليان ،غي بيرفييه...وغيرهم)

2-وهناك الإجابة الوطنية لتلك الدراسات التي اجريت على المجتمع الجزائري ومازالت الى اليوم بعد الاستقلال من طرف مثقفين او اساتذة جامعيين وحتى سياسيين ،فاعلمين في السلطة من خلال مذكراتهم وهذه شكلت النظرة من الداخل للمجتمع .نذكر منهم مثلا : (الكتر ،غريد ،سويدي ،عياشي ،بوخبزة ،بوسبسي ،حربي ،جابي ،مظهر ،لونيسبي ،شيخي ،ليابس ،لقجع ،جغلول ،عبد الحميد مهري ، بوكروح ،سفيان جيلالي الخ)

لا يختلف اثنان على ان الجزائر بلد تقليدي بامتياز من الناحية الانثروبولوجية وبلد تعرض للتشويه التاريخي من طرف الاستعمار في لغته وثقافته وهويته من الناحية التاريخية .ومن ثم ادى ذلك الى ضياع معالمه الاساسية التي من خلالها يحدد مساره الحضاري والثقافي والمستقبلي من جميع النواحي (السياسية ،والاجتماعية ،والاقتصادية ،والثقافية).

لقد مرت أيضا الجزائر في مسيرتها التنموية بعد الاستقلال بمرحلتين هامتين هما :

أ- مرحلة بناء الدولة الوطنية بمؤسساتها بعد الاستقلال من خلال قاعدة "بناء دولة لاتزول بزوال الرجال والحكومات"، وهنا بدأت البوادر الاولى لتشكل مجتمع جزائري واضح المعالم والافق في جميع الميادين .لقد تم تاسيس الفرد الذي يدافع عن اختياراته رغم التناقضات الخفية في تلك المرحلة .

ب- مرحلة تفكك الدولة الوطنية وضياع معالمها وانحلال مؤسساتها ،مما ادى ونتج عنه تفكك المجتمع وانحلاله وضياع معالمه ايضا ،حيث اصبح الفرد الجزائري تائه في دوامة الازمات المتعددة التي مست مفاصل الدولة والمجتمع معا .(دوامة البطالة ،دوامة الاسلام السياسي في العشرية السوداء ،دوامة

خلفيات مفاهيمية ونظرية لفهم "المجتمع الجزائري اليوم"

دراسة- سوسيو-نفسية -انثروبولوجية

الارهاب ،دوامة الهجرة غير الشرعية نحو اوربا ،دوامة التفكك المدرسي ،وحتى الجامعي في كثير من الاحيان).

هذا الوضع الذي وصلت اليه الجزائر في غضون عقدين او ثلاثة عقود من الزمن هو الذي ادى الى تعقد فهم " المجتمع الجزائري اليوم " فهما واضحا من خلال ما توصلت اليه تلك الدراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية.وبقي التصور حوله يشوبه الغموض والضبابية ومن ثم بقيت ملامحه هلامية رجراجة لايمكن فك تفاصيلها بشكل موضوعي ومتفق عليه من قبل الباحثين انفسهم .

لقد اختار السياسيون الذين حكموا البلاد بعد الاستقلال ومع بعض النخب المثقفة التي قبلت الانخراط في صفوفهم ،ان يتواطؤا على فرض نموذج حياة على الشعب الجزائري لم يكن فيه الشعب طرفا مساهما وانما فقط كان مجرد موضوع لانجازه كحقل تجربة فرضتها تلك الظروف السياسية والدولية في تلك المرحلة نتيجة الصراع الذي كان قائما انداك في العالم ومنطق الاستراتيجية من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ومن ثم السياسية .

ان منطق الحدائة الذي فرضته السلطة السياسية من الاعلى كاختيار سياسي على المجتمع التقليدي في زمن الاستقلال ليكون الاطار النظري من خلاله يتم تطبيق مشروع بناء الدولة والمجتمع معا ، لم يكن ليتناسب مع مقومات المجتمع الجزائري الثقافية والاجتماعية والانثروبولوجية ولذا كان هذا سببا في اللجوء الى تلك الدراسات الميدانية التي قام بها هؤلاء الباحثين ،من خلال ذلك الانقسام والجدل الكبيرين الذي ظهر بينهم ومازال قائما حتى اليوم وهو .

1)بين مؤيد ومناصر لاطروحة ان نطبق نماذج ومشاريع اجتماعية غربية جاهزة على المجتمع لاجراجه من اتون التخلف والجمود والانغلاق والتفوق بحجج العادات والتقاليد والاعراف المغلقة بمنطق الدين الاسلامي .

2)ومعارض لهذا المنطق الذي يريد ان يجعل من الجزائر تغريبية ،ويدافع على العودة الى خصوصياتها السوسولوجية والثقافية والانثروبولوجية .التي من شانها تحافظ على هويتها وحضارتها ،ومن ثم

الاستقلالية في اختيار مصيرها في كيفية الخروج من التخلف والتقهر في جميع الميادين ،ووجد هذا التيار مناصرين له حتى داخل السلطة نفسها وتجلى ذلك من خلال الصراع حول .

1-الرهانات الكبرى حول المدرسة الجزائرية بين الاصالية والتغريبية .

2-الرهانات الكبرى حول اللغة الوطنية بين اللغة العربية والفرنسية والامازيغية .

3-الرهانات الكبرى حول اسس البناء ،بناء الانسان ام بناء المجتمع .

هذه الرهانات كلها شكلت محور صراع مرة يطفو على سطح الساحة السياسية ومرة يخمد ، وهذا كله حسب ميزان القوى داخل السلطة وداخل النظام السياسي ككل .اما لصالح التيار الحدائي المتحدث باللغة الفرنسية كادات تواصل ووسيلة تفكير ،واما لصالح التيار التقليدي المتحدث باللغة العربية الفصحى والمتحالف غالبا مع التيار الاسلامي في السلطة حول هذه المسائل الجوهرية في المجتمع .

2)"المجتمع الجزائري" في البحث عن "علماء اجتماعه" لفهم واقعه :

لقد¹ ظل "المجتمع الجزائري" محل جذب وتجادب بين الباحثين في السوسيولوجيا بالخصوص وبعد الاستقلال بصفة خاصة ،اذ اصبح محل اهتمام متزايد من طرف السلطة والباحثين ،لكن هذا الاهتمام المتزايد كان يندرج ضمن سياق تلك المقاربات التي كانت سائدة في العالم الثالث وهي (السوسيولوجيا الماقبل كولونيالية ،ثم السوسيولوجيا الكولونيالية وثم السوسيولوجيا المابعد كولونيالية) او العالم ثالثة ،وضمن هذا السياق العام للعالم الثالث من جهة والسوسيولوجيا من جهة ثانية كان من الضرورة ان يرث الخطاب السوسيولوجي في الجزائر بعد الاستقلال .

"(...)ركاما من المعارف والنظريات التي حكمته مصالحو ايدولوجيا كولونيالية ،كان عليه زحزحتها واعادة النظر فيها ،بواسطة نقص الشروط التاريخية والمعرفية المكونة اياها ولعل (العالم ثالثة) التي تمثل قطعا مع المشروع الاستعماري وتؤكد تاريخية العالم الثالث وقدرته على المساهمة ايجابا في صنع تاريخه ،يمكنها ان تمثل اجلى قسما الممارسة السوسيولوجية في الجزائر وفي هذه الفترة وان واجهتها في الواقع صعوبات".¹

خلفيات مفاهيمية ونظرية لفهم "المجتمع الجزائري اليوم"

دراسة- سوسيو-نفسية -انثروبولوجية

وفي هذه المرحلة الاولى من الاستقلال (...).دعت جزائر هذه المرحلة الى القطع مع الظاهرة الاستعمارية ومواصلة تطويرها بالفهم والنقد والاستقصاء على الصعيدين العملي والعلمي ،وهو ما من الممكن ان يترجم سوسيوولوجيا بموقف رفض النقل الالي لسياقاتها النظرية والمنهجية من دون امعان في دعاويها ومرامها ،ومن دون تمحيص للدور الذي قد يلعبه الخطاب السوسيوولوجي اذا ما اخذنا معطيات الواقع الجزائري في الحسبان ولعل هذا ما يفسر رواج كتابات (فرانز فانون)(1923-1961)و(مالك بن نبي)(1905-1973)²

اطروحتان متناقضتان في فهم "المجتمع الجزائري" في تلك المرحلة المبكرة من بداية ظهور السوسيوولوجيا المابعد كولونيالية .

(أ)بالنسبة الى (فانون) فقد تاثرت كتاباته بالجيل الاول منالرادكاليين الفرانكفونيين ،وتطورت بدا من دعوته الى وصف العملية المعقدة التي يفرز عن طريقها مجتمع واقع تحت السيطرة الاستعمارية هويته الثقافية في مواجهة مجتمع استعماري ، مما حداها على تحديد " الموقف الاستعماري " في ضوء مفاهيم كالعنف (...).الذي ادى تكريس التقسيمات الاثنية الايكولوجية (...).وقد حاول (فانون)بعد ذلك توضيح دور البرجوازيات الوطنية ،(...).التي اتخذت على الدوام موقف مؤيد للقوى الاستعمارية على حساب المواطنين.³

(ب)اما بالنسبة (مالك بن نبي) فقد قدم نفسه كمختص بما اطلق عليه ب " السوسيوولوجيا الاخلاقية "التي لاتقتصر حسب تعبيره على "بعد الارض " بل تضيف اليه "بعد السماء " وترتبط بمفاهيم مثل العقيدة الاسلامية ،التفكير السليم ،القدوة الحسنة ،النهضة ،الفعالية ،الاستقامة ،وغيرها من المفاهيم الاخرى ك القابلية للاستعمار ،²اللامبالاة ،الفوضى ،ذهان السهولة ،ذهان الاستحالة¹

وقد نقض (بن نبي) افكار (فانون) من منطلق انها لاتقاسم الشعب الجزائري معتقداته " ،يقول "ينبغي ان ينشأ علم اجتماع خاص بمرحلة الاستقلال ليكون بين ايدي من يشرفون على اجهزت الدولة اداة رقابة لاينفصل عن جهاز التخطيط .".وهنا يكون قد وضع علم الاجتماع في الجزائر على سكة خاطئة.²

3) علماء الاجتماع يبحثون عن نموذج لمجتمعهم - المجتمع الجزائري انموذجا :-

في هذا المحور سنقتصر على بعض الدراسات الميدانية التي اجريت على المجتمع الجزائري في مراحلها المختلفة وضمن تلك التحولات التي شهدتها في سيرورته. وهذه الدراسات سنقسمها الى قسمين :

1) قسم خاص بتلك الدراسات الاكاديمية من خلال تخصصات مختلفة (سوسيولوجيا ، انثروبولوجيا ، بسيكولوجيا، تاريخ... الخ)

2) قسم خاص بدراسات قام بها سياسيين لهم تصورات يحملونها عن المجتمع الجزائري ،ومن بين تلك الدراسات الاكاديمية في ميدان العلوم الانسانية والاجتماعية نذكر مايلي :

1) الدراسات الاكاديمية :

1-دراسة (علي الكنز و ناصر جابي) [تميزت هذه الدراسة بالمقاربة السوسيولوجية المحضنة في الطرح وذلك بحكم تخصص الباحثين فيها]، اعتمد الباحثان على النظرية الانقسامية في تشخيص " المجتمع الجزائري " من خلال مفهوم "المجتمعين المتواجهين"

أ)مجتمع "العصرنة" هو المجتمع الذي يغلب عليه الطابع النخبوي ذو الثقافة المفرسة عموما ،والذي يرفع شعارات العصرنة والديمقراطية ، بل حتى العلمانية لدى بعضه ، هذا المجتمع يتجسد تقريبا في مفهوم المجتمع المدني ، بالمحتوى الاجتماعي الذي اخذه المفهوم في الجزائر والمغرب العربي عموما ³

ب)مجتمع "الهميش" " (...) يتكون سوسيولوجيا من كل المبعدين عن العملية الانتخابية والاستهلاكية ، والمنتمين الى فئات اجتماعية واسعة تضم حتى الفئات الوسطى خصوصا الشرائح الدنيا منها ، ذات التمركز الحضاري الكبير في مدن الساحل ،(خصوصا الجزائر ، قسنطينة ، عنابة ، وهران) والمعتمدة في جزء واسع منها على تجارة "الترابندو" الاقتصاد الموازي¹

2-دراسة (جمال غريد) [تميزت دراسته بالمقاربة السوسيو-انثروبولوجية]لانه يعتبر من الجيل الذي تحول من مجرد ³عالم اجتماع الى انثروبولوجي في السنوات الاخيرة.

خلفيات مفاهيمية ونظرية لفهم "المجتمع الجزائري اليوم"

دراسة- سوسيو-نفسية –انثروبولوجية

اعتمد "غريد" في دراسته "للمجتمع الجزائري" من خلال تلك الدراسات الميدانية التي قام بها. سواء ضمن مجموعات بحث او بمفرده من خلال كتابيه (الاستثناء الجزائري و الدخول الى علم الاجتماع)، توصل الى المفهوم التالي وهو " الثنائية الثقافية " ويقصد بها حسب ما جاء في كتاب: أ.د محمد بشير حول جمال غريد السوسيولوجي والانثروبولوجي صاحب الثنائية الثقافية يقول "(...) يمكن وصف الاستعمار الاستيطاني الفرنسي للجزائر ذو طبيعة خاصة ادت الى انتاج " ثنائية خصوصية " بمرجعيتين ثقافيتين متباينتين بل متناقضتين ليس لها مرادف من حيث تأثيرها على المجتمع في العالم العربي باسره هذه الثنائية غير المرئية بقوة لدى الشعب ومحددة بكل وعي وفي حدود كبيرة لدى النخب.

-البلدان الذي يراد ربط العلاقات الدولية معها .

-العطلة الاسبوعية وبخاصة الموقف من العطلة الكونية.

ومع هذا يبقى –بالنسبة للنخبين وبدون منازع – الاختلاف الجذري القائم يتعلق بطبيعة المنظومة التربوية والاحوال الشخصية والتاريخ (...)ومن بين القنوات التي ساهمت في عملية التكيف هذه والتي تجسدت واقعا في نشر التمثلات ، القيم والممارسات الحديثة في المجتمع باكملة ، الهجرة الى فرنسا ، المشاركة في الجيش الفرنسي ، التمدن ، التمدرس ، والعمل في المدن ومزارع المستعمرين على الخصوص ، انه احتكاك طويل المدى زمنيا في مجتمع بثقافة مخالفة للثقافة المحلية الاصلية "2

3)دراسة (عبد القادر لقجع):[تميزت الدراسات التي قام بها بطابعين هما (السوسيولوجيا والانثروبولوجيا) ويعتبر ايضا من الذين تحولوا الى الانشغال بالانثروبولوجيا في السنوات الاخيرة .

يطرح (عبد القادر لقجع) الاشكاليات الايستمية التالية لفهم "المجتمع الجزائري" وهذه الاشكاليات ليست ناتجة عن مجرد تخمينات نظرية او تصورات فلسفية خاصة به ، بل هي اشكاليات ناتجة عن ملاحظات ودراسات ميدانية قام بها مع الطلبة الذين كان يشرف بحوثهم غالبا .وتتلخص هذه الاشكاليات كالتالي :

1-3 "حين يعيد الشباب اعادة خلق المجتمع من الهامش " هي عبارة عن دراسة ميدانية قام بها الباحث مع طلبته تحت اشرافه في مدينة وهران في احياء شعبية تتميز بالهشاشة وهي حي سيدي الهواري والبلنتور (الزراعون) ما بين (2012-2015)العنوان الاصلي بالفرنسية

2-3 اشكالية "العمل الذي يقوم به المجتمع حول ذاته " من خلال مفهوم (مجتمع في بزوغ او في بروز)⁴

3-3 اشكالية "المجتمع الجزائري اليوم هو في طور البناء ام في طور اعادة التأسيس ؟"¹

4) دراسة (سليمان مظهر) [تميزت الدراسة التي قام بها عالم النفس الاجتماعي (سليمان مظهر) بالدراسة البسيكولوجية الاجتماعية ،علما ان هذا التخصص مغيب في الجزائر ولانعرف سبب ذلك لكن رغم هذا حاول الباحث ان يظهر لنا الابعاد النفسية الخفية في العقلية او الذهنية الجزائرية الفردية كانت او الجماعية من خلال مفهومين اساسيين هما :

1-4 الثقافة التقليدية:

2-4 النظام الاجتماعي التقليدي:

يحاول (سليمان مظهر) ان يشخص الوضع الذي الت اليه الجزائر او المجتمع الجزائري في فترة زمنية معينة ،شكلت ومازالت تشكل الاطار المرجعي والخلفية النمطية لاي شبكة قراءة لفهم المجتمع في واقعه يقول : " على غرار جميع المجتمعات الانسانية ، يتميز المجتمع الجزائري بمواجهة كل ما يهدد نظامه الاجتماعي (...).تبرز المتابعة العلمية للمجتمع الجزائري عكس ماتثبته عدة اطراف منذ العشرية الاخيرة من القرن العشرين ،اي ان العنف قائم في الجزائر منذ القدم وانه منتشر فيما تحت اشكال مختلفة وان هذه الاشكال تتناوب من خلال الحياة الاجتماعية بصفة متواصلة دون انقطاع "2

تعريف الثقافة التقليدية :

"(...)تركب الثقافة التقليدية من سلسلة من التجارب الاجتماعية التي يعيشها الاشخاص والجماعات في محيط عدواني حر التصرف تتميز هذه التجارب الاجتماعية والجماعات بالخطر وعدم الامن وعدم الاستقرار وعدم ،التحكم في وسائل المعيشة ،تكون هذه الميزات ركائز الثقافة التقليدية (...).لا

خلفيات مفاهيمية ونظرية لفهم "المجتمع الجزائري اليوم"

دراسة- سوسيو-نفسية – انثروبولوجية

تستمد هذه الركائز حيويتها من المحيط الجغرافي والمناخي فحسب بل من جل العناصر التي تشارك في الحياة الاجتماعية اليومية ضمن المجتمعات المتخلفة "

من خلال التعريف السابق للثقافة التقليدية بين ان الجزائريين يعيشون حالة نفسية واجتماعية في نفس الوقت من المفارقة في التمثل للثقافة التقليدية بين (اللامعقول وغير المعقول) (...) وتبين المتابعة العلمية (...) ان الثقافة التقليدية متحكمة في المجتمع الجزائري بدون انقطاع وهي متحكمة في الوعي واللاوعي الفردي والجماعي وانها ت⁵سكن المجتمع كله (...) ويغيب الجزائريون الثقافة التقليدية عامة حتى يستفيدوا من الاسلام (رحمة الهية...جنة) والعصرنة (تقنيات) بدون ان يراعوا شروطهما (...) اولا ان الجزائريين لم يذوبوا في الاسلام بل وظفوه حسب شروط ثقافتهم وبطريقة تجعلهم ياملون دخول الجنة ثانيا انهم يحاربون شروط العصرنة ويحاولون ان يستفيدوا من مزاياها في نفس الوقت ."¹

تعريف النظام الاجتماعي التقليدي :

"يتكون النظام الاجتماعي التقليدي من ستة اجزاء هي :ثقافة ،تنظيم اجتماعي ،بنية اقتصادية ، نمط تسيير الطاقة البشرية ،تركيب ذهني ونمط انتماء اجتماعي ."²

ومن هنا يخلص مظهر في تشخيص النظام الاجتماعي التقليدي يقول "(...) ان سبب مواجهة الضغط الاجتماعي تغيب الغليان النفسي الوجداني للاشخاص من قبل النظام الاجتماعي التقليدي ،لاياخذ هذا النظام بعين الاعتبار هذا الغليان لان الاشخاص عاجزون على حماية انفسهم بانفسهم .واذا هم في حاجة الى سند اجتماعي يحمهم من الاخطار التي تهددهم فقد اعطيت الاولوية للجماعة على حساب الافراد .غير ان هذا الغليان يراود الحياة بصفة مستمرة ويتجدد عبر الاجيال .فتغيبه لا يزيله ، بل يؤدي لاهماله فحسب من طرف المحيط الاجتماعي ."³

(5)الدراسة الخامسة :لـ (رابح لونيبي)تميزت دراسته في مقال تمة انزاله في موقع (الحوار المتمدن) تحت عنوان "توسيع عملية التمدين لاضعاف العصبية الخلدونية " يوم 2022/01/28 هو مؤرخ واستاذ التاريخ بجامعة وهران يقول " ان مجتمعات منطقتنا لازالت تعيش في العصر الخلدوني بكل تخلفه

وعصبياته الطائفية واللسانية والقبلية والجهوية وغيرها فهذه العصبيات هي التي تعرقل وتقف في وجه اي محاولة للانتقال الديمقراطي وتحقيق مجتمع حدائي. 4"

حيث ميز لونيبي بين سكان المدن والمهاجرين الذين هاجروا الى فرنسا في الخارج اذ يحملون فكرا حدائيا نسبيا بحكم الاحتكاك مع الاوروبيين اما سكان الريف الذين كانوا يشكلون الاغلبية لكن بثقافة تقليدية في الداخل .

ان القراءة التي قدمها لونيبي تميزت بالمقاربة التاريخية الثقافية للمجتمع الجزائري اذ قدم جملة من الامثلة التي استدل بها على ازمة العقل العربي الجزائري بالخصوص انه مازال حبيس العصر الخلدوني سوسيولوجيا والقرون الوسطى تاريخيا في ثقافته ولهذا مازال يجد صعوبة في عملية النهوض الحضاري العربي واولا ثم الانتقال الى المجتمع الحدائي ثانيا ومن ثم الانتقال الديمقراطي ..

(2) الدراسات السياسية :

حاولنا ان نقدم هذه النظرة من هذه الزاوية حتى لا يكون النظري واقع "المجتمع الجزائري" من نظرة واحدة وهي نظرة⁶ المتخصص ،وانما اردنا ان نرى نظرة الفاعل السياسي وما له من اغراض وما تحكمه بالمجتمع من اهداف

(1) نظرة السياسي والمتقف (نورالدين بوكروخ):

من خلال برنامجه حزبه السابق (حزب التجديد الجزائري) في تسعينيات القرن الماضي حين ترشح لرئاسيات الجمهورية سنة 1995، البرنامج تحت عنوان " الجزائر الجديدة " حيث احتوى البرنامج على ثلاثة اجزاء وهي (الجزء الاول: الماضي ،الجزء الثاني:المستقبل ،الجزء الثالث:الجزائر الجديدة)

يقول بوكروخ تحت عنوان الجزائريون في التاريخ:

"(...)انها اذن تصوراتنا الذهنية ومفاهيمنا واحكامنا على انفسنا وعلى العالم منذ القدم التي يجب اعادة النظر فيها ...يجب النظر العميق في افكارنا المغروسة فينا لكي نحل لغز اللا نمو الاجتماعي وهزال غريزة وحس التجمع فينا وعدم قابليتنا للنمو لانها هي التي حددت سلوكنا. ومسيرتنا في كل مراحل

خلفيات مفاهيمية ونظرية لفهم "المجتمع الجزائري اليوم"

دراسة- سوسيو-نفسية – انثروبولوجية

تاريخنا (...) انها هي التي رسمت خلفيتنا وعاداتنا الذهنية التي توجه افعالنا في جميع الاحوال من جيل الى جيل في هذا الاتجاه بدل من ذلك...¹

ويقول ايضا " (...) لقد تميز الجزائريون دائما كافراد ، ببساطتهم وسخائهم وشجاعتهم وذكائهم وصبرهم في العمل واستعدادات اخرى طيبة كثيرة .ولكنهم لم يستطيعوا ابدا ان يبنوا لانفسهم مجتمعا كليا ويقوا على الهامش .هذا المبتغى بسبب ضعف ميلهم للاجتماع والروح التضامنية وتجاوز اللاسقرار والطوارئ"²

ان بوكروح يكاد يكون السياسي الوحيد الذي عرف كيف يفسر سلوك "المجتمع الجزائري" واستطاع ان يشخص ملامحه بشكل جيد رغم قصاوته عليه في ذلك ، وهذا لمسناه من خلال كتاباته المتعددة ومؤلفاته المختلفة .

يقول " (...)لقد عبرنا الفي عام من الزمان دون ان نترك اثرا لدولة مركزية اقمناها بايدينا ولصالحنا ، ودون ان نؤثر في الطبيعة بانجازات كبيرة ودون ان نخترع تقنية او نصل الى اكتشاف علمي ، ودون ان تطبع ايدينا او عقولنا الزمان والمكان ببصمات لاتمحي ."¹

" (...) ان الحس الديني عند الانسان الجزائري لم يجد احسن من القيم الاسلامية لتجسيده ولكن بسقوط الحضارة الاسلامية تمول تدينه الى شعوذة وتبرك بالصالحين وحمل مسؤولياته الارضية الى الله "²

" هذا الشيء اللغز هو الافكار الخاطئة والتركيبات الذهنية التي يحملها شعها ونخبها والمتباعدة عن بعضها البعض في الزمان والمكان .وفي الحقيقة فان المفاهيم التي نعملها هي التي تغذي الصراع والازمة اولا واخيرا .وهي التي تشكل مانعا امام التسوية ةالوحدة الوطنية ودولة القانون وكذا مصلحة الجميع وخيرهم ."³

(27) نظرة السياسي والمثقف (سفيان جيلالي):

من خلال قراءة اولية لكتابه الموسوم ب " المجتمع الجزائري ، صدمة الحداثة ، وازمة القيم والمعتقدات " باللغة الفرنسية ..

يقول تحت عنوان :الاشكالية الجزائرية بالفرنسية الترجمة مني :

"(...) ان فوضى وظائف الضوابط الاجتماعية ادت الى الغموض في المجتمع وظهر شيئا فشيئا في جميع مجالات ونشاطات الامة ، مما ادى الى الانكسار في صفوف الافراد بين الاتجاه التقليدي او الحداثي ، وهذا حسب وضعياتهم ، ومواقفهم المنفصمة "4

ويضيف قائلا تحت عنوان " المجتمع اليوم "

" منذ عقود والمجتمع الجزائري يعيش ارتباكات متتالية ومؤلمة ، مما تعني اسس بنياته السياسية والسوسيولوجية والنفسية ، التي ستؤدي به الى صورة اجتماعية جديدة ...ان التحولات التي عاشتها الجزائر منذ الاستقلال كانت تنتهي إلى أن تأخذ حالة لا يمكن مراقبتها والى نتائج كارثية "5

خاتمة:

حاولت أن أختم مداخلي هذه من خلال الدراسة الميدانية التي اجريتها في جامعة تلمسان مع بعض الاساتذة اذ اجريت معهم مقابلات كان محورها موضوع الملتقى ، وكانت ردود افعالهم حول الاسئلة التي طرحناها عليهم عن طريق المقابلة غير الموجهة . نذكر منها ما يلي :

(1)المقابلة رقم 1(أ.م.ر.40سنة ، مزدوج اللغة ، تخصص علم الاجتماع)

" يلخص واقع المجتمع الجزائري اليوم في الصورة التالية: ان المجتمع يعيش حالة المؤقت الذي يدوم ولا يعيش حلقاته في التغيير بل هو يمر عبر منعرجات طويلة ومعقدة ، وبالتالي لايمكن ان نتوقعه .اي هو يعيش ايضا حالة " البقايا الشاذة " حسب اطروحة (ريمون بودون) وعلى هذا الاساس يصعب علينا فهم وتنظير المجتمع الجزائري لانه غير مستقر في تحولاته .ولقد فشلت فرنسا المستعمرة بكل ما كان لديها

خلفيات مفاهيمية ونظرية لفهم "المجتمع الجزائري اليوم" دراسة- سوسيو-نفسية – انثروبولوجية

من علماء اجتماع في فهم المجتمع الجزائري، والتحكم فيه، وفي القدرة على تغييره لانه يعد من المجتمعات التي يصعب التحكم فيها ."

(2)المقابلة رقم 2(أ.م.ب.59سنة مزدوج اللغة تخصص علم الاجتماع)

"يلخص⁸ المجتمع الجزائري اليوم في الصورة التالية: ان المجتمع يعيش حالة "التمدن المشبوه والمشوه" من خلال التعايش المتناقض في تمثله لتلك القيم التقليدية ذات الطابع البدوي والديني المزيف من جهة وتمثله لقيم التحديث وليس الحداثة من الناحية المادية التي هي ناتجة عن حالة الاستهلاك المادي الصرف منى جهة ثانية.

أي أن المجتمع الجزائري اليوم واقع امام حالة من الفصام الاجتماعي والنفسي والثقافي، ادت به الى الانفصام في الشخصية وفي الخطاب الاجتماعي والسياسي، ولهذا اصبح الفرد الجزائري بدل ان يكرس الحرية فهو يكرس العبودية الطوعية في سلوكه وخطابه المتناقض، لانه لم يحدث الانتقال الجذري من البنيات التقليدية الى البنيات الحديثة وانما تم المحافظة على البنيات التقليدية وبناء بجوارها البنيات الحديثة بعضها البعض، وهنا خلقنا نوع من الازدواجية الثقافية والهوياتية. ومنذ تلك اللحظة اننا مازلنا نعيش حالة اللاحسم واللاوضوح في العلاقات الاجتماعية والثقافية والحضارية الى اليوم. وعليه المجتمع مازال يمارس كل اشكال العنف المادي والرمزي على كل من اراد ان يصحح سلوكه وتوجهه، فهو يبدو قد تحرر من "القابلية للاستعمار" من ناحية ولكن في نفس الوقت مازال لم يقبل "بالقابلية للتحضر والتمدن".

المصادر والمراجع:

المراجع باللغة العربية:

1-رابح لونيبي، مقال، توسيع عملية التمدن لاضعاف العصبية الخلدونية، في الحوار المتمدن، يوم 2022/01/28

2-سليمان مظهر، نظرية المواجهة النفسية الاجتماعية، دار ثالة، الجزائر، ط1، سنة، 2010

3-علي الكنز وناصر جابي، الجزائر في البحث عن كتلة اجتماعية جديدة في كتاب الازمة الجزائرية، الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، م.د.و.ع، ط2، سنة 1999،

4- لقع عبد القادر، مداخلات واعمال علمية وملتقيات وطنية ودولية، جامعة وهران 2 محمد بن احمد، كلية العلوم الاجتماعية قسم علم الاجتماع، 2015/2012

5- محمد حافظ دياب، علم الاجتماع في الجزائر: الهوية والسؤال، في كتاب الازمة الجزائرية، مرجع سبق ذكره، سنة 1999

6- محمد بشير، جمال غريد السوسيولوجي والانثروبولوجي صاحب الثنائية الثقافية، دار كنوز للانتاج والنشر والتوزيع، ط1، سنة 2017

7- نور الدين بوكروح، الجزائر الجديدة، برنامج حزب التجديد الجزائري سابقا رئاسيات 1995

8- نور الدين بوكروح، الجزائر بين السيئ والاسوأ، بحث في الازمة الجزائرية، دار القصبه للنشر، الجزائر، ط1، سنة 2000 (مترجم)

المراجع باللغة الفرنسية:

9-SOUFIANE jilali,la societe Algerienne,choc de la Modernite,crise des valeurs et des croyances,ed jil jadid ,annee,2017

الهوامش:

¹ محمد حافظ دياب، علم الاجتماع في الجزائر: الهوية والسؤال، في كتاب الازمة الجزائرية، م.د.و.ع، بيروت، ط2، سنة 1999، ص311

² نفس المرجع السابق، ص312

³ نفس المرجع السابق، ص312

² نفس المرجع السابق نفس، ص312

² نفس المرجع السابق، ص313

³ نفس المرجع السابق، ص313

خلفيات مفاهيمية ونظرية لفهم "المجتمع الجزائري اليوم"

دراسة- سوسيو-نفسية – انثروبولوجية

- ³ محمد بشير، جمال غريد السوسولوجي والانثروبولوجي صاحب الثنائية الثقافية، دار كنوز للانتاج والنشر والتوزيع ط1، سنة 2017، ص69
- 2 نفس المرجع السابق، نفس الصفحة
- ⁴ لفتح عبد القادر، استاذ باحث في جامعة وهران 2 محمد بن احمد كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، نسق واشرف على عدة اعمال علمية وملتقيات وطنية ودولية، 2015/2012
- 2 سليمان مظهر، نظرية المواجهة النفسية الاجتماعية مصدر المواجهة، دار ثالة، الجزائر، ط1، سنة، 2010 ص09
- ⁵ مرجع سبق ذكره، ص44، 43
- 2 مرجع سبق ذكره، ص52، 51،
- 3 مرجع سبق ذكره، ص87
- 4 راجح لونيبي، مقال، توسيع التمدين لضعاف العصبية الخلدونية، في الحوار المتمدن يوم 2022/01/28
- ⁶ نور الدين بوكروح، الجزائر الجديدة، برنامج حزب التجديد الجزائري سابقا، لرئاسيات 1995، ص12
- 2 نفس المرجع السابق، ص14، 13
- ⁷ نور الدين بوكروح، الجزائر بين السئ والاسوأ، بحث في الازمة الجزائرية، دار القصبه للنشر، الجزائر، ط1، سنة 2000، ص17، 15،
- 2 نور الدين بوكروح، مرجع سبق ذكره ص 17، 15،
- 3soufiane jilali, la societe Algerienne ,Choc de la Modernite ,Crise des valeurs et des Croyances ,ed jil jadid ,annee,2017p:50,52
- ⁸ عينة قصدية جماعة من الاساتذة تخصصات متعددة في قسم علم الاجتماع بجامعة ابي بكر بلقايد تلمسان مقابلات لسبر اراء حول المجتمع الجزائري اليوم سنة 2022/2021